سِر الابتسامة

التقينا أمام واجهة أحد محال الملابس الجاهزة بميدان الجيزة..

أُعجبت بها أشد الإعجاب من أول وهلة!، تبادلنا النظرات، وجدتها تبتسم لي ابتسامة سحرتني!

ما هي إلا دقائق معدودة حتى انصرفت في صمت!، وكانت في مشيتها تختال كطاووس..

دون أدنى تفكير قادتني قدماي إلى ملاحقتها والسير خلفها وأنا المعروف بالاتزان بين الأصدقاء والأهل!

جاوزت الميدان بأضوائه الباهرة، وانعطفت إلى شارع رئيسي ثم شارع جانبي، وقبل أن تدخل عمارة عالية– وكأن قلبها كان يحس بوجودي– التفتت خلفها فوجدتني فانبسطت أساريرها وابتسمت نفس الابتسامة!

هزتني دقات قلبي كما لم تهزني من قَبل، وأنا الذي مررت بكثير من تجارب الحب والهجر!

دعتني للدخول!

تاه عقلي ولعبت بي الظنون.. يا إلهى ماذا أفعل؟، إني لم أعرفها من قَبل... من المستحيل أن أُصدق ظنوني.. إن مظهرها يَدُل على أنها فتاة محترمة ومن بيت مُحترم.. ولكن ماذا أفعل؟؟

والحق أنها لم تتركني كثيرًا مع حيرتي وظنوني.. فقد بادرتني قائلة– ولأول مرة أسمع صوتها الملائكي:

- تَفَضّل يا أستاذ محسن... عادل موجود!!

تنفست الصعداء.. وأخرجت من جيبي منديلًا لأجفف عرقي الذي بلل جبيني بلا هوادة..

إنها «إيناس» أخت صديقي وزميل دراستي عادل، أخته الوحيدة التي طالما حدَّثَني عن تفوقها الدراسي بالجامعة، والتي لم يُحَدثني عن رقتها وجمالها الفتان!

ولكني لم أرها ولا مرة رغم ترددي على منزل عادل أيام الدراسة، ولكن يبدو أنها كانت تراني في كل مرة!

دعتني للدخول، فوجدتها فرصة غير محسوبة لمقابلة صديق العُمر عادل.

وأُغلق علينا لأول مرة باب المصعد، وقضينا به أجمل لحظات الصمت الجميل، حيث صمتت الشفاه وتكلمت القلوب.. ولكن!..